ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Mohammad Fadhil Jaddoa

Dhi Qar Education Directorate

Email:
mohamadmishlab@gmial.com
07805575657

Keywords:

Narration , The Arab Novel , The Arab Spring.

Article info

Article history:

Received 15.may.2023

Accepted 23.jun.2023

Published 20.aug.2023

The discourse of the Arab novel and the spring uprisings: causes and manifestations

A B S T R A C T

In this research, we aim to reveal how the Arab novel dealt with the theme of the Arab Spring, through the selection of modern novel models for three Arab writers of diverse experience and richness of narrative adventure.

Passing through the novel (The Name of the Cart) by the Iraqi novelist Zaid al-Shaheed, and how he addressed the issue of the Arab Spring by choosing the blessed land from which the spark of the revolution was launched, which is Tunisia, and its hero (Mohamed Bouazizi), and the social and psychological reasons that led to wide movements from the various segments of Tunisian society.

Also with the novel (Remish Eil) by the Syrian novelist Fakhreddin Fayyad, as the novelist dives casually through his paper characters into the Syrian internal affairs, since the rise of the military regimes, up to the recent revolution, through suggestive language, and a clear understanding of the modern archaic of Syria as a novelist.

These three creative models, diverse in places and experiences, will contribute significantly to crystallizing a culturally critical approach to the issue of the Arab Spring. Describing the novel as a literary discourse emanating from the issues of society, it is shaped by society and he is shaped by it.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol52.Iss1.3526

خطابُ الرواية العربيّة وانتفاضات الربيع: الأسباب والتمظهرات

م.م. محمّد فاضل جدّوع

مديريّة تربية ذي قار

الملخّص

نهدفُ في البحث هذا إلى الكشفِ عن الكيفيّة التي تعاملت فيها الرواية العربيّة مع موضوعة الربيع العربي، وذلك من خلال انتخاب نماذج روائية زامنتِ الحدث لثلاثةِ كتّاب عربيين متنوعي التجربة وثراء المغامرة السرديّة.

فبدءً مع الروائي الليبي الشهير **إبراهيم الكوني** وروايته **(فرسان الأحلام القتيلة)**. وهي من أوائل الروايات التي نُشرت بعد اندلاع شرارة ثورات الربيع في مختلف بلدان الوطن العربي، عن أحلام أجيال تهاوت فشلاً على صخرة الطغيان والاستبداد.

مرورًا برواية **(اسم العربة)** للروائي العراقيّ **زيد الشهيد**، وكيفيّة تناوله لموضوعة الربيع العربي عبر انتخابه الأرض المباركة التي انطلقت منها شرارة الثورة ألا وهي تونس، وبطلها (محمّد بو عزيزي)، والأسباب الاجتماعيّة والنفسيّة التي قادت لحركات واسعة من مختلف شرائح المجتمع التونسي.

كذلك مع رواية **(رمش إيل)** للروائي السّوري **فخر الدين فيّاض**، إذ يغوصُ الروائي عارضًا من خلال شخصياته الورقيّة الشأنَ الدّاخلي السّوري، منذ صعود الأنظمة العسكرية، وصولاً للثورة الأخيرة، عبر لغة موحية، وإدراك بَيّن لأرخنة سورية الحديثة روائيًا.

هذه النماذج الإبداعية الأربعة المتنوّعة أمكنةً وتجاربةً ستسهم في بلورة مقاربة نقدية ثقافية لموضوعة الربيع العربي؛ بوصف الرواية خطابًا أدبيًا ينبثقُ من قضايا المجتمع فهي متشكلة بالمجتمع وهو متشكّل بها.

الكلمات المفتاحيّة: السرد ، الرواية العربيّة ، الربيع العربيّ.

المقدّمة

يمثّل النصّ الإبداعي إطارًا مكتنزًا لحيوات عدة، من مشاعر، وخبرات، موضوعات، وأعماق إنسانية، تكاد لا تبين كواكبها إلا في فضاءات الأدب، وتحديدًا عالم الرواية بوصفها عملاً تعبيريًا عن ظواهر إنسانية، جماعية أو فردية، ولكن بشروط فنية محضة، على اعتبار أنّ ((الوظيفة الأولى لكاتب الرواية هي نقل انطباع الأمانة [= الثيمة] بالمقارنة مع التجربة الإنسانية))، (بارت وآخرون، ٢٠٠٣: ١٤)، فهو يحاكي الواقع، بأدوات جمالية.

إنّ الرواية، هذا العالم السّردي الذي أزاح – بنظر الكثير – هيمنة الشعر، قد استحوذ بصورة كبيرة على شرائح متعددة وكبيرة من القرّاء، فضلاً عن أنّها قد نافست الفنون الإبداعية الأخرى الشائعة، مثل المسرح والسينما أو التشكيل اللوني، والكتل النحتية، وذلك لأسباب تشيرُ إليها المترجمة والروائية لطفية الدليمي يمكن أن نوجز بعضًا منها (ينظرُ: مارتز، ٢٠١٦: ٨ – ٩ – ١٠ – ١١ – ١٢):

١- تمثّل الرواية نوعًا من الذاكرة الجمعية المميّزة لكلّ جغرافية بشريّة.
٢- الرواية عمل تخيلي يبدأ بالمخيلة ويتطوّر داخل فضائها.
٣- الرواية يمكن أن تكون علاجًا في حالات معينة.
٤- الرواية معلم حضاري وثقافي تنهض به العقول الراقية في مختلف الاشتغالات المعرفية.
٥- الرواية جهد خلّاق يرمي إلى فتح أفاق جديدة أمام الوعي البشري والخيال الإنساني.

اشتغلت الرواية على العديد من الموضوعات التي كان لها صدا وأثرًا في الواقع، على امتداد تاريخ وعُمر تطوّر الرواية العربية، فمن موضوعات الإنهمام بالذات، وتعليم المرأة وحقوقها، إلى نبذ التقاليد البالية، والمعتقدات القورسطية، إلى مطالب الحرية، حرية الإنسان، وقيم المواطنة والمساواة، التي رفع شعارها الكثير من الروائيين على امتداد الوطن العربي، هذه الموضوعات وغيرها مما لم نذكره، كانت انعكاسًا للزمان العربي، ووثيقة للتاريخ وللأجيال القادمة، وفق الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الرواية والسّرد بشكل عام ((ممارسة إنسانية،. وفي هذا السياق تبدو هذه الممارسة نشاطًا إنسانيًا شاملاً وممتدًا في الزمن من أقدم العصور إلى وقتنا هذا))، (العجمي، ٢٠١٤: ١١).

ولو عرّجنا إلى حدث هو الأبرز في بداية العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين، ألا وهو ما عُرف بـ"الربيع العربي"، أو الانتفاضات التي قامت بها شعوب هدّها الحرمان، والفقر لعقود وسنوات طويلة، تعود بنا إلى الثلث الأخير من القرن العشرين المنصرم، اضطهادات وانتهاكات شتّى كثّفت العالم العربي وصّيرته عاريًا، جسدًا، وعقلًا، متمترسًا وراء خوف، ورعب جاثمين على صدره. فهذه الانتفاضات لم يكن يقودها سوى التوق للنجاة، وكسر معول الظلم، ولم يوّحدها قائد ما، بل خرجت دون قيادة معروفة، تطوفُ البلاد العربية، شيئًا فشيئًا، يوّحدها نبل الهدف، ألا وهو إزالة أنظمة شاخت، وطوّقت نفسها بعوازل كثيرة جدًا، فلم تعد ترى الشعب أو تسمعه، أو تفطن لحجم البؤس الذي نخر أسس المجتمع، ومؤسسات البلاد.

انتفاضات ملأت الميادين العامة، خارجة من الجامعة، والجامع، إذ من المفترض أن يكونا مركزين لإشعاع المعرفة والتراحم، والقيم العليا، فجمعتهم هوية الوطن الكبرى، وتواشجوا بخيوط علم الوطن، فالربيع العربي ((ظاهرة يصحّ وصفها بأنها فريدةٌ، وعظيمة. وبأنّ الذين قدّموا حياتهم من أجلها، قصدًا أو عفوًا، هم في طليعة نضال ضروريّ مشرّف، بنّاء، وإنسانيّ))، (أدونيس، ٢٠١٥: ٨٦)، وتناسوا حينها ما كان يعمل على تفرقتهم وتنابذهم، وأقصدُ الهُوّيات الفرعية، أثنيها، وطائفيها، وقوميّها، فكان الربيع العربي ((مناسبة عليا لاستعادة حق المصير الذي تكون كل دولة قد صادرته كأحد اختصاصاتها التي ينبغي أن تحتكرها إلى أمد غير معلوم لأحد))، (المسكيني، ٢٠١٣: ٢١٧)، فتبدو معادلة شباب الربيع العربي منطلقة من ((التحدّي الكبير الذي تواجهه مختلف البلدان العربية، يتمثل بالخروج من الاستبداد، والبيئة الخاضعة لنمط وحيد للإدارة السياسية، والتحول إلى مجال سياسي آخر يقبل باختلاف الآراء والمواقف، وحرية التعبير، الفردية والجماعية، والانخراط في استنبات مرجعية سياسية جديدة مبنية على مبادئ حقوق الإنسان، والثقافة الديمقراطية، وسيادة القانون، والسلم المدني))، (أفاية، ٢٠١٣: ١١٣). إذ بدأت حالة قديمة مستقرة في عقول العرب وكادت تُنسى، تتمثّل بالوعي الجمعي، الذي حرّك كلّ هذه الشعوب، على اختلافها الديني والمذهبي، وبدت ملامح تكاتف العرب تتجلّى، والتنوع الأثني ينمو بمساره الإيجابي الصّحي، فقد ((تحرك التونسيون والمصريون واليمنيون، وربما غيرهم، في المنطقة، كمواطنين لجمهورياتٍ مخدوعة، حُرمت منهم منذ نهاية الاستعمار الأوربي. وثاروا ضد الطغاة الذي يحكمونهم))، (دبّاشي، ٢٠١٦: ٢٤٦).

لكن مع مرور وقت قصير بدأت الحالة "الحُلميّة" هذه أقرب للكابوس، الذي صحا بعده الكلّ على تفرقة، وشذوذ طائفي، وكلام وخطابات محتدمة تطالب بتفعيل شرائع اضمحلت من مئات السنين، لتفصح عن ((ركام هائل من العقائد التعصبية المنتشرة لدى كافة الطوائف والمذاهب، أقلية كانت أو أكثرية))، (صالح، ٢٠١٣: ١٣٩)، ومن ثمّ تتشكّل لوحة قبيحة من الاقتتال، والتشرّد في أصقاع الدنيا، مشرقها ومغربها.

وحتى تتم مقاربة ما حدث والدنو منه؛ والولوج إليه، بقراءةٍ فاحصة لخطابات الربيع العربي، سنستقرُ بالعيّنة على أربع روايات، تناولت خطاباتها وموضوعاتها الربيع، ولاشك من أنها قالت شيئًا، غير الذي تقوله باقي الأجناس الأدبية والصوريّة والإعلاميّة.

الربيعُ وأسباب كسر أفق الظلام

تبدو أي محاولة لفهم مسار الربيع العربي بمعزل عن المسبّبات التي ساهمت بخروج حاشد للشعوب المتجرّعة للآلام، والعوز، وتخلّف شاسع، تبدو محاولة عوراء، تعوزها الدقة.

في روايته (اسم العربة)، يتناول زيد الشهيد شخصية التونسي (محمّد البو عزيزي)، مطلق الشرارة الأولى لانتفاضات الربيع العربي، إذ يسلّط السارد البرّاني العليم الضوء على شخصية (البو عزيزي)، باسترجاعات، وسرد متوالٍ، بغية الوقوف، على شخصية من شريحة المجتمع الفقيرة غير المتعلّمة بشكل جيد، المهملة من قبل النظام التونسي، فأصبحت شخصية (البو عزيزي) الثائرة، هي مركز السرد تخيليًا، بمواجهة مركزية السلطة المهيمنة في الواقع؛ وذلك ((من أجل إضفاء معنى عميق على مغامرة الشخصية في فضاء مفتوح))، (إبراهيم، ٢٠١١: ١٨)، وكأنّ الروائي يُنسّق سرديًا بين الواقع والمتخيل؛ ابتغاءًا لتهشيم استبدادية السلطات وغلوها، بمركزية سردية لشخصية مهمّشة بلا جاذبية ما، خارجة من مجتمع مهشّم، جاعلاً للسلطة وجهًا ضبابيًا قبيحًا.

في فصل الرواية (اسم العربة) الأول، نمسكُ بخيوط حياة (البو عزيزي) المعدمة، على الرغم من طموحاته المتعددة، ومحاولة كسب رزقه البسيط، بشرف واستقامة، ومع ذلك تطارده عيون الشرطة الذئبية، وتمنعه من التجوّل بعربته وسط مدينته، مردّدًا صدى صوتٍ رغمًا عنه : ((**لماذا ولدنا في وطن كهذا لا مكان لنا فيه، ولا مخرج من هذه البلوى!**))، (الشهيد، ٢٠١٣: ١٥. وينظرُ كذلك: ٨٣)، هذا الشعور الداخلي النافر من وطنه، مردّهُ إلى أسباب متنوعة قادت بـ(محمّد البو عزيزي) إلى الإقدام على خطوة الانتحار، هذه الخطوة الصعبة على أيّ إنسان، قام بها بعد أن سُدّت بوجهه أبواب الدنيا الرحبة، وفرصة العيش بكرامة، فاضطربت علاقة الفرد مع المجتمع المحيط به وتفككت، فيعيش مرتابًا في علاقاته؛ لتضطرب الروح في دوّامة اليأس، وانتهاء مواقيت الأمل، فمن أسباب إقدام الإنسان على الانتحار ((الاكتئاب، والوسواس القهري، والخواف (الفوبيا)، والإحباط، والتشاؤم، والحزن والكمد))، (الفايز، ٢٠١٧: ٤٥)، وغيرها من المسبّبات، والعوامل المضافة في عالمنا العربي.

ظهرت شخصية (البو عزيزي)، صموتة، غير متكلفة، محبوبة من أبناء مدينته (سيدي بو زيد)، طموحة، ممتلئة بالإنسانية، لكنها تصطدم بجدار القمع والمنع السلطوي، متجسّدًا بعنصر الأمن الشرطية (شادية)، التي لا تنفك عن ملاحقته هي وعيونها الأمنية، بوصفهم أداة لإظهار بأس النظام الشائخ، ((**كان رصده لي بعين ذئبية وأنا أمر بمحاذاته... التفتّ مرتبكًا بحركة أبغي من ورائها مشاهدة العين إن كانت تتابعني أم منشغلة بأمر ما.. لكن لسوء الحظ كانت الحصيلة ليست لصالحي؛ فقد بعثت العين شرارها، ما جعلتني أوقن أنها التقطتني، وسحبتني، أنا والعربة إلى دائرة**

البغض؛ ومن ثم إلى حلبة العقاب))، (الشهيد: ١١٤. وينظرُ: ٦٩ – ١١٢ – ١٦٤)، وكأننا أمام ملاحقة الشرطي الباريسي الناقم لـ(جان فالجان)، المُحب لفعل الخير، ومساعدة الآخرين، في رائعة فيكتور هيجو (البؤساء).

كان العامل الاقتصادي العامل الأول في نزوع (البو عزيزي) للنقمة على النظام، وإعلانه الرفض لتصرّفات المؤسسات في إدارة البلاد، وعدم وضع حدّ ناجع لوقف انهيار البلد، ومن ثمّ إقدامه على حرق جسده محتجًا وثائرًا، يقولُ: **((لماذا ولدنا في وطن كهذا لا مكان لنا فيه، ولا مخرج من هذه البلوى!))**، (الشهيد: ١٥)، فحالة العوز التي ورثها عن أبيه، خلقت وعيًا يذهب لتجنب تحميل الأقدار والما–ورائيات، سبب ذلك الفقر والاحتياج، فهو لا يخشى شيئًا **((من الأقدار تأتي بها كفّ السماء، ولا يتهجس عواصف الغيب تنثر في عينيه غبار العلل. خوفه وتهجسه وخشيته وعذاباته تأتي من أخيه الإنسان))**، (الشهيد: ٦٨)، إذ يدرك (البو عزيزي) إن كمية الظلم والقسوة التي تمتلئ حياته وحياة الكثيرين غيره، هي من فعل أبناء آدم، وأنّ بث هذا الوعي، هدفه القول إنّ هذه الشخصية كانت مجهزة وعيًا وسلوكًا؛ ليقوم بتلك الوقفة الاحتجاجية التاريخية أمام مبنى السلطة.

شخصيّة (البو عزيزي) حاولت دفع التهميش عنها، إذ سلكت المسار القانوني، في طلب الإجازة ليبيع ويسترزق، غير أن أسبابًا "روتينية إدارية" في دائرة البلدية، تعتبر متخلّفة إلى حدّ كبير، مع تقدم الأنظمة الإدارية في أرجاء العالم، إذ على امتداد أربع سنوات وهو يعيد تقديم طلبات الحصول على إذن للعمل ويرفض كلّ ذلك، فلم يكن له من فرص للعيش غير التجوّل بعربته، لذا لم تتوقف ملاحقات رجالات الأمن، والضبط الاقتصادي والسياحي، وكأنه سبب خراب البلد، وتأخره (ينظرُ: الشهيد: ٢٠ – ٦٩ – ٨٣).

فضلًا عن العاملين المذكورين سابقًا، يمكن إضافة العامل النفسي، أو ما يُوصف بحالة الخيبة التي سيطرت على شباب تونس، أجيالا بعد أجيال، لتفشي العطالة، والاحتياج، ونقص الخدمات، وعدم فائدة الشهادة الجامعية للكثيرين ممن كافح لنيلها؛ أملاً في وظيفة، تضمن له العيش الكريم، وهذا الشعور تجلّى في ذات (البو عزيزي)، فهو مثل حال الملايين من التونسيين، برزقٍ شحيح، وكرامة مهدورة، وملاحقات لا تنتهي من قبل رجالات الشرطة، ولأبسط الأمور، إذ **((أنّ التونسي، مهما فكّر في ما ينتشله أو حلمَ بما يريد، فلن يكون غير الخذلان نهاية له... نحن أجيال ضائعة، تتوارث الخيبة جيلاً بعد جيل))**، (الشهيد: ١١٨. وينظرُ كذلك: ١٣٣ – ١٦٦)، إذ يمكن القول إنّ مظاهرات الربيع العربي ((لم تكن ناجمة عن قرارات سياسية متخذة من عواصم غربية وإنما من عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية محليّة كان من الصعب التنبؤ بديناميتها))، (خلاصي، ٢٠١٤: ٢٢٣).

ساهم كلّ ذلك بانهيار الحلم، والأمل، ومن ثمّ انهيار للقيم والمبادئ في مختلف شرائح المجتمع، إذ صيّرت شموليّة الحاكم (البو عزيزي) مستنجدًا بعوالم العجيب والغرابة، مرتحلاً صوبها علّه يذق طعم الحياة، وعسى أن يجد فيها الخلاص من الظلم الكبير، يقول السارد العليم : **((حلم بامتلاك مصباح علاء الدين ليحك معدنه النحاسي، مخرجًا المارد... فيأمره بتنفيذ كل متطلباته وأمانيه... حلم بحيازة طاقية الإخفاء، ممنيا النفس بتحقيق كل ما تمناه أبو الذي عانى من ضيق العيش، وما لاقاه جدّه من عَسف الفرنسيين طغيان الاحتلال... حلم بأن يكون خيميائيًا ينتج ذهباً... حلم بامرأة تنتشله من واقعه اليومي المليء بالكمد، لتأخذ به إلى حزر الهناء))**، (الشهيد: ١٥٢ – ١٥٣ – ١٥٥).

هذه العوامل اجتمعت في ذات (البو عزيزي)، وساهمت إلى حدّ شاسع في بلورة الاحتجاج على النظام، والصراخ في وجهه؛ لما سببه من خنق للحياة، معيشة وحلمًا غير متاحٍ، ومن ثم فتح نافذة الانتحار؛ احتجاجًا، ورفضًا للإنسانية الحكومة، واستبدادها، وامتهان شعبها، على الرغم من محاولات رفع الهم عنه، وبث الأمل في روحه، من جهات عديدة، الأم ودعاؤها بالخير له، أصدقاؤه وحثّه على التحمّل، الاستعانة بزيارة أضرحة المتصوفة، لاسيما (سيدي بوزيد)؛ شوقًا، وأملاً في اغتراف الصبر، من طقوسٍ روحية، فلم ينفع ذلك مع (البو عزيزي)، بل كان يرى في الانتحار حيازة لمشعل

الحرية، والارتياح، وهذا ما جعله يبادر لإطلاق سراح طيره الأثير (الكناري) من قفصه، وإعطائه الحرية التامة، والخلاص، فاستعار الروائي أنموذجًا محبًّا للحياة، وممتلئ بالبهجة، كطائر الكناري، توّاقًا للطيران بلا قضبان تحجزه عن زرقة السماء، (الشهيد: ١٩٦)، فصار تحرّر الكناري معادلًا موضوعيًا لبداية تحرّر روح (البو عزيزي)، وإهداء ثمنها نبراسًا إلى البقية، مأثرةً ووصيةً، ورغبةً في تخلصهم من الذل والهوان، وهذا ما كان فـ((سقوط ضحايا وشهداء للحرية في الشوارع يشعل الحماسة ويؤجج المعارضة ويسقط هيبة الدولة))، (الزين ٢٠١٣: ٢٢)، لتشدو الحناجر التونسية بصرخة "ارحل" المدويّة، ليبتدأ الربيع العربي، وينطلق من مدينة (البو عزيزي) الصغيرة، وتعم كلّ تونس الخضراء، التي تصبح مركز الربيع العربي ومنطلقه للعديد من البلدان العربية الأخرى، فيخرج فعله الاحتجاجي من مجرّد حدثٍ مؤلم لـ((عملية انتقال مثيرة إلى الفعل الكبير للشعوب))، (المسكيني: ٢١٦).

ياسمين الشام والخريف الطويل

رأينا كيف أدّى الانهيار اقتصاديًّا، وثقافيًّا، ونفسيًّا، وظروف الكبت، والقمع، إلى تأجج المجتمع، واحتقانه، مطلقًا شرارته البكر، متمثلة بـ(البو عزيزي). وهنا في المحور هذا، ندخلُ في تفاصيل الانتفاضات، على صعيدها الميداني، الاحتجاجي، سلميًّا، في البدء، وعسكريًا لاحقًا، عندما اشتدت ضربات الحكم الشمولي، في سوريّة، وليبيا، وغيرها من بلاد الربيع العربي.

في روايته (رمش إيل) يتناول فخر الدين فيّاض، الربيع العربي في سوريّة، في القسم الثاني من الرواية، بعد أن كان الجزء الأول مخصّصًا لبيان مكانة "رمش إيل"، القرية الجنوبية في لبنان، والتي كانت محط استقبال الكثير من اللاجئين الفلسطينين، الذين احتلت أراضيهم في ١٩٤٨، وكان محور هذا الجزء هو (نجيب المقداد)، الفلسطيني النازح عن أراضيه، (نجيب) الذي يعكس صفات الشهامة، والثقافة، والحب. إذ شهد هذا الجزء احتفاءً بالحياة، والحب، والمرأة، والبحث عن لحظة التنوير، بعيدًا عن تلفيقات الأنظمة العربية بخصوص تحرير فلسطين، ولمّا تضيق، الحياة بـ(نجيب المقداد)، إبّان الاقتتال اللبناني – الفلسطيني، يشدّ رّحاله، صوب الشام حاضرة الحبّ والزهو؛ إذ تبتدئ حياة أولاده، الذين اكتسبوا جنسيتهم السوريّة، روحيًّا، ورسميًّا، ودمجوها بدماء أسلافهم الفلسطينيين، فأصبحوا أبناء بلد جديد (سوريّة)، منتمين إليه، بعشقٍ يصلُ حدّ التضحية.

ستنتقل كاميرا السارد من (رمش إيل) في ستينيات القرن الماضي، إلى (الصليبة) بسوريّة، بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، إذ الربيع العربي فيها، عبر سرد (فادي) ابن (نجيب المقداد)، إذ كان وأسرته من المتحمسين جدًا للتظاهرات في أوّلها، والحضور الفاعل فيها، والدعم المعنوي لها، غير أنّه مع مضي الوقت، وتفشي الفواجع، ونزيف الدماء، بدأت عين السارد برصد انتهاكات كلا الطرفين، المعارضة والنظام، وهذا ما يُحسب للمؤلف الذي لم يحابِ شيئًا سوى الحقيقة، في نصّه الأدبي، جاعلاً للقارئ لمسة الحكم، وسمة التقدير، على ما دار، ويدور في سوريّة من مآسٍ وعذابات.

(الصليبة) ستقع ضحية لنهب الأرواح، من (حيدر) القروي، الذي سكنها طالبًا، معزولًا عن الحياة، وسكنه في زريبة مؤجرة من (أم جورج)، ليكمل تعليمه، ويحقق حلم أبيه الكبير، ويصير ضابطاً: ((**وكما خطط الوالد، طوال ثلاث سنوات، ظل حيدر ينام في الزريبة، لكنه قبل أن يأخذ شهادته الثانوية ويدخل إلى الكلية الحربية أتى أبوه ذات يوم ماطر وغادرا معاً**))، (فيّاض، ٢٠١٤: ٢٦٣)، كانت حياة (حيدر) البائسة، وضحكات بنات (أم جورج)، وتعليقاتهما الخفية عليه، سببًا في شقّ جرح لن يشفى، سوى بضرب المدينة، واعتقال (روزيت) بعد خروجها بالتظاهرات العارمة في ٢٠١١، وتعذيبها من

قبله؛ انتقامًا منها، ومن أنوثتها التي كانت تغزو مخيلته المراهقة في السابق، وهو رابض في الزريبة مع المواشي، محققًا ثأره بعد أكثر من خمسة وثلاثين عامًا، بعد أن ترقّى في أجهزة النظام الأمنية: ((**مشبوحة صباح مساء.. عُذبت بالكهرباء والكرسي "العقيد" كان يعذبها بنفسه.. لم نكن نعلم ما قامت به لتستحق كل هذا**))، (فيّاض: ٢٦٨)، فجريمة (روزيت) أنّها كانت مهمازًا لذاكرة العقيد المُوحشة، وطفولته المحتشدة بالعوز، والحرمان من الحنان والحب. ومثل (روزيت)، انتهى مصير (نعيمة) زوجة (نجيب المقداد)، ومربية (فادي) الطيبة؛ انتقامًا بشعًا من ابنتها (ندى) الطبيبة التي انضمت بوصفها متطوعة لإسعاف ومداواة الجرحى، الذين تدكّ بهم عشوائية قذائف، ورصاص النظام الحاكم.

كانت التظاهرات عفوية، دون موجّه، ولا تسيس، مظاهرات تحلم، بوطن جميل، يعيش بظلاله الوارفة الجميع بلا تفرقة دينية، أو طائفية، أو أثنية، أو قومية، كانت عابرة للخوف والرعب الذي زرعه النظام طول عقود، ((**أهلنا في حوران يهتفون للجبل.. الثوار في حمص يرفعون شعار سوريا المدنية الديمقراطية.. ويعتفون سنيلة علوية.. سلمية سلمية**))، (فيّاض: ٣٨٧)، فيما خمدت بعيدًا المعارضة؛ خوفًا من البطش، واكتفائها بحضور سطحي؛ انتظارًا لساعة تتوّلى هي الدور، وتركب موجة الربيع.

صوّرت (رمش إيل) حالة التناقض التي عاشها الجميع، نظام استبدادي هرم، ومعارضين يدّعون تغيير النظام، بدءً بتظاهرات عفوية، سلمية، تنادي بمطالب يسيرة، ثمّ تحوّل تلك التظاهرات إلى تنسيقيات ممنهجة، مدعومة وموجّهة، لتدور عجلة اصطدام دموي، أفترس الأخضر واليابس. فلم تكن المعارضة بحالٍ تاريخية أخلاقية أفضل من النظام، ولم تنأى بوصفها ركنًا للخلاص والشرف عن الفساد، والتعاطي مع الجريمة بصنوفها المتعددة، يقول (فادي) وهو يستمع لشاب بدأ أمله بالمعارضة يفتر ويخبو: ((**"معظم الشباب المتظاهرين في الجبل أصبحوا يشترطون قبل المظاهرة ألا يتم تصوير أي فيديو"!! ... الفيديو يُباع.. تقبض "العصابة" ثمنه على شكل تبرعات من الخارج تضعها في جيوبها**))، (فيّاض: ٣٥٩ – ٣٦٠. وينظرُ كذلك: ٣٩٦ – ٤٠٧ – ٤٢٨)، فصورة هذه التنظيمات المعارضة بدت تتجلّى عن سهام توجّه لكلّ من لا يضع يده بيدها: ((**هذه معارضة معوّقة وعاجزة عن تقديم شيء للبلاد.. لا تثقوا بها.. ليست إلا صورة معكوسة عن النظام**))، (فيّاض: ٤٢٢)، وهذا العقم المستعصي في عقل التنظيمات الاحتجاجية في سوريّة، من شأنه وضع عقبات أمام التحوّل الديمقراطي، وشمس الحرية، ويؤدّي لـ((سيطرة النموذج الأصولي الشعبوي على الفكر والعقليات وسده للآفاق))، (صالح: ١٥٠).

فالتحوّل الهائل لهذه التنظيمات المعارضة صوب التهديد بالقتل، والابتزاز المادي، والخطف لأبناء الأقليات التي لا حول لها ولا قوّة؛ وصولاً لتحقيق طقم سعادتهم ونيل المبتغى السلطوي: ((**أحد الخاطفين يتكلم بلسان "جبهة النصرة" ويهدد أهل الجبل بالمفخخات والقتل الطائفي. "أيها الدروز الأنجاس سنذبحكم كما الشياه.. إن لم تثوروا على النظام النصيري الكافر**))، (فيّاض: ٣٦١)، هنا يبدو جليّا المسار الهووي الخطير للانتفاضة في سوريّة، فحلّ الخطاب العنفي، بدل الخطاب السلمي، والخطاب الهووي الضيق، بدل الخطاب القيمي لهُوية الشعب العليا، ليحصل التغييب للهوية العليا (العامة) للشعب؛ لتمتد التفرقة حتى في العائلة نفسها، والبيت الواحد، صارت التفرقة، والوقوف على الضدّ رأيًا واتجاهًا، تمثّلُ قيمةً دخيلةً على المجتمع، فيما أقصيت وسط دوّامة الدم والخراب، قيم النبل والأخوة والحب، إذ نستحضر من الرواية مشهد مقتل (حمودي) الشاب المتظاهر، وردّة فعل أخيه (حسّان) الانتهازي، الساقط – أكثر من اللزوم – في وحل الولاء للسلطة: ((**الأمر المفاجئ في استشهاد حمودي أن أخاه حسان ابن التاسعة والخمسين سنة كان يعمل شبيحًا آنذاك... لم يشارك في التشيع حتى إنّه لم يقبل التعازي بحمودي في منزله... ضلّلوه وضحكوا عليه (أعداء الوطن).. اللعنة عليه يستاهل الموت كما الكلاب الشاردة.. قال حسان ذلك في دكانه الكبير**))، (فيّاض: ٣٢٩ – ٣٣٠)، أدّى هذا الاختلاف إلى تغيير في نوازع البشر الآدمية، ومظهر الإنسانية، وخروج مكنون الشر العنيف في حضرة السياسة، والحكم،

والمصالح التي يبحث عنها كلّ طرف من أطراف النزاع السوري، دون تبرير منطقي لهذا الاجتهاد بانتهاك الحرمات، حتى وصل الأمر عند من بقي متماهيًا مع الحياد، إلى الكفّ عن التحمس للتظاهرة ولو بعد حين، إذ يحوم السّارد حول موضوعة المشترك غير الأخلاقي لطرفي النزاع: ((**خطرت في ذهني مفارقة تركت استياءً في داخلي.. ألا يوجد في صفوف الثورة "شبيحة" أيضاً.. الجواب حاضر ومعروف ومقرف.. نعم!! وربما كان "شبيحة" الثورة أكثر ضرراً**))، (فيّاض: ٣٧٠)، والشبيحة مصطلحٌ مُبَيَّأ، انتشر في وسائل الإعلام، إبّان التظاهرات السوريّة، ويقصد بهم مجموعات من المرتزقة، تقوم بمواجهة المتظاهرين والاعتداء عليهم، وبث الرعب في نفوسهم، وصنّفوا في البدء كتابعين لنظام شمولي، تعيدُ العافية لجسده المعتل، ويد أمْنيّة خطيرة تخفي العقل، وتحتفي بالعنف المطلق، هذا التناقض بكيان المعارضة، وظهورها بمظهر لا يقلّ قبحًا عن السلطة، وتبدي رغبتها الشديدة بالكرسي، دون رغبة حقيقية سامية لبناء مجتمع مورس بحقه كل صنوف الفتك، والتشويه العقلي. وهذا الهاجس المستبد للظفر بالحكم من المعارضة مهما كانت الخسائر يحيل للمتلقي لفكرة أدونيس المصرّح بها، أنّ ((مقصد الجميع يتخطّى تهديم النّظام إلى تهديم سوريّة))، (أدونيس: ١٠٩)، وهكذا سقط مطلب الديمقراطية الشعار الأول للربيع العربي، في نفق طويل ومعتم، يبدو من الصعب الخروج منه قريباً؛ ((ذلك أن آمال الأيام الأولى من يقظة الوطن العربي قد اصطدمت مع الواقع القاسي للتحولات غير المكتملة، وبدلاً من الغبطة على نطاق واسع بالديمقراطية القادمة أخيرًا إلى المنطقة، نجدُ تشاؤم المرء اليوم حول العديد من العقبات والخوف حول ما سيحدث بعد ذلك إلى درجة إبداء الحنين للنظام الاستبدادي))، (خلاصي: ٢٣٣)؛ لتغدو الثورة وهمًا، ونزيفًا من الوجع، والأنين، وسقوطًا حرًّا في بركةِ الدماء السوريّة.

على الرغم من الاحتفاء بالشخصية المتميّزة (نجيب المقداد)، بوصفه الشخصية الرئيسة، ذات التفاعل القيمي مع الوطن، والمرتحلة مع همومه وقضاياه الكبرى، لكن التركيز على الموضوعة الأخلاقية للمجتمع السّوري، وكشف الكثير من السلوكيات المتناقضة لشخوص الرواية العديدة، ربما هو تنكيل ممن رسم الواقع رسمة كلّها إيجابيات، ومثاليات، وإظهار أطيافه المتعددة بألوان زاهية، بلا أدلجة تسيّرها أو مذهب يكتف إدراكها، تبدو شخصية مثل (توفيق) المهندس الشيوعي، الذي دفع ثمن ما آمن به من أفكار ورؤى في الماضي، إلى الاعتقال والزج به في السجن لخمس سنوات، دفع "رجولته" إخصاءً، ثمنًا لشيوعيّته، غير أنّه في انتفاضة ٢٠١١ تحوّل لجانب المؤيدين للنظام البعثي، والمهاجمين للمتظاهرين، بل صار بمعيّة (حسّان)، من أبرز من يلقي الخطابات المؤيدة للنظام في اللقاءات الحزبية، ومهاجمة الثورة، (ينظرُ: فيّاض: ٣٣١ – ٣٣٢)، على اعتبار ثمين أنّ الاحتجاجيين لن يأتوا إلا بالأصوليين والمتشددين التكفيريين. فـ(توفيق)، يعاني من اغتراب سياسي؛ نتيجة قمع فكره السابق (الشيوعيّة)، ومصادرة إيمانياته المؤدلجة بالقوة، وكي يعوّض (توفيق) اغترابه، وجد بمظلة (البعث)، قشرة تقيه وتحميه، وتشفيه من اغترابه السياسي، ليتحدّ خطابا الضدّين (البعثي – الشيوعي) في تأسيس خطاب مشترك جديد لكن ليس متجانسًا، بل خطاب التابع المرتهن، لغرض وأد الديمقراطية، بمواجهة شرسة لخطاب معارض جديد، من أجل سعي حثيث ((في تحويل الخطاب بعيدًا الإرادة الديمقراطية للشعب السوري، وتقزيمها، لمستوى الحرب الأهلية))، (دبّاشي: ٢٣٢).

وسط هذه الدوّامة من الموت والصدمات، بقي (فادي) ضد شمولية الحكم، ولكن كان يصدمه واقع المعارضة، وخروجها عن شعار السلميّة، وما يسوء واقعها من فساد وقبح لا يقلّ قبحًا عن النظام، وهو ما يوضّح حالة اللبس المسيطرة على كلّ لا منتمي لجهة ما، كما في شخصية (فادي). مفضلاً في ختام الرواية أن يرتحل عائدًا نحو (رمش إيل)، بوصفها قريته الأم، وقرية والده (نجيب المقداد) وأحبته؛ سعيًا لترميم روحه الخربة، وإنسانيته المخدوشة. فالاستعانة بالماضي مكانًا يبدو خلاصًا من زمن حاضر عقيم. فتغدو (رمش إيل) يتوبياه الخاصة، وترنو ثريّا يهتدي بها، بعيدة عن الخرق الإنساني، والفتك بكينونته.

إنّ خطاب رواية (رمش إيل) الفني والموضوعي يظهرُ محايدًا، في تصوير حال سوريّة، حبًّا ووِدًّا، قمعًا ونهبًا، تاركًا للقارئ خيار تشكيل الرؤية لتظاهرات ٢٠١١ وما يليها من سنوات مريرة، ومُغبرة، يملؤها أسى وعنف مُشاع، مُخيّرًا بين ورود ترحّب بالاحتجاجيين، أو يافطة سوداء تنعى الياسمين.

ليبيا : سندان المنتفض ومطرقة الدكتاتورية

في رواية الروائي إبراهيم الكوني (فرسان الأحلام القتيلة)، تتحرّك الشخصية المحورية التي لا نعرف لها اسمًا، بل وصفًا ومشاعرًا ورؤى، ونزيفًا للذاكرة المنخورة، فهو مثقّف مارسَ تدريسَ "التاريخ" مدة يسيرة، وفصل من الوظيفة؛ لقوله رأيًا في منهج المادة، الموضوع من قبل اللجنة الخاصة بوضع وتأليف المناهج، بعد تولي العقيد ذو الكاريزما البائسة للحكم، وهي لجنة ليست من المختصين، إنما من رجالات العسكر، الذين كلّفوا بكتابة تاريخ ليبيا، منذ صعود القذافي عقيدًا ورئيسًا لليبيا في ١٩٦٩. فلا يكتفي النظام بكتابة التاريخ المعاصر لليبيا منذ أكثر من أربعين عامًا، بل ويكتب من جديد تاريخ الأسلاف القديم، ويقوم العسكر بتقديمه من وجهة نظرهم، وما هي إلا وجهة نظر الحاكم التسلطية المعقدة، يتساءل السارِدُ المشارك: ((**هل تكتب الأمم التاريخ للأجيال لكي تنتصر للحقيقة؟ كلا بالطبع (سيّما أممُنا التي لم تتحرّر بعد من الأسر) تلقن الأجيال التاريخ لكي تمرّر الأكذوبة!**))، (الكوني، ٢٠١٢: ٨٦)، فالتاريخ والتراث، أداة للسلطة، لغسل عقول الأجيال، ومسخها، وبثّ صوتها الشمولي لاختصار تاريخه الراسخ في سفر البشرية، واخفاض صوت الوطن الحقيقي، بكامل إرثه الحضاري الزاخر، الذي يجب أن يصدح به إنسان الوطن الجميل: ((**كدت احتج فأقول إن المنهج الدراسي ليس قرآنًا منزلاً، ولكنني تذكرت أن آراء سادة هذه الدنيا كثيرًا ما كانت متونًا أكثر حُرمة من القرآن، وأعظم قداسة من الأناجيل، وأقوى سلطانًا من كل الأسفار، فاستجرتُ بالصمت**))، (الكوني: ٨٥).

إنّ الجسد المقصوف بالخراب والجوع – أعني شخصية السارد – من المنطقي تحوّله إلى ثائر باسل، بعد تظاهرة مجموعة من المهمّشين، ليبدأ العنف المبالغ والتوحّش من السلطة اتجاه أفراد شعبها، بغض النظر عن كون الضحية متظاهرًا ضدّها أم تصادف خروجه مع صرخات الاحتجاج. فحمل السارد المشارك سلاحه وتخندق في طابق "بناية سكنية"، حوّلته من قارئ عتيد، إلى مسلّح مترقب، يعدّ الدقائق والثواني، لينقض على أعدائه.

المفارقة التي عمل إبراهيم الكوني على نسجها روائيًا في (فرسان الأحلام القتيلة)، هي فكرة المكان، فالثوّار بدأت نقطة انطلاقهم واحتشادهم من بناية (المحكمة)، كأنهم على يقين وضرب من الوعي، بأنّ الغياب الفادح لصوت العدالة هو السبب الرئيسي للمآل السيئ الذي سار إليه البلد، في محاولة من الثوّار لإرجاع العدل والمساواة لأروقة المحاكم، ومحاسبة كلّ من هتك الحرمات وسلب الحقوق، ((**الشرارة الأولى أيضًا انطلقت من زند المسيرة المتّجهة إلى صومعة المحاكم. المحاكم الناعية منذ عقود فحوى المحاكم. الناعية غياب العدالة، والمنتظرة استعادة روح المحاكم**))، (الكوني: ١٠٤). فيما شَخَصَتْ "العمارة السكنية"، بوصفها جامعة لأطرافَ الرواية جميعهم، المعارضة متمثّلة بالسارد، والقوّات الحكومية، والعائلات المتبقية في البناية، احتل السارد موقعه في الطابق الثالث، واحتلت قوّات الطاغوت الطابق الأول، فيما آل مصير السكّان المتبقين، في الطابق الثاني. وهكذا انتقلت المعادلة الصعبة، من برّانيها (الميادين والساحات) إلى جوّانيها (العمارات والبيوت)، ووقع العُزّل وسطًا بين فكّي النظام المدافع عن وجوده بهمجية، والمعارضة التي لا تريد العودة عن تدشين مقام الحرية رغم كلّ شيء.

مثّلت ربّة منزل من سكنة العمارة، بؤرة الصراع بين قوات الأمن، والمعارضة، إذ تقع فريسةً لاغتصاب أحد الضباط: ((**كانت ولولة مَن لا حول له ولا قوة. ولولة من لا أمل له في النجاة... ليست ولولة من يطلب النجدة، أو يطمع في**

النجاة من الكابوس، ولكن صرخة موجّهة إلى السماء. صرخة إدانة))، (الكوني: ٤١)، فصار جسدها نهبًا، كما هي البلاد المستباحة شرقًا وغربًا، طولًا وعرضًا، ففي الحرب، تسقط قيم وسلوكيات، وتسجل قيم سفلى حضورًا في ميدان المجتمع، فتعلو للسماء صرختها إدانة لما يحدث في البلاد وفيها.

كانت هذه المرأة مصدرًا لنيل مختلف الرغائب، الضابط (السلطة) واشباع شهوته البهيمية من جسدها، والثائر (المعارضة) وسدّ جوعه وعطشه، فتلاؤم الموقع المكاني، بين طابق سفلي لقوات السلطة، وطابق علوي للمعارضة، ساهم في لعبة جذب للمرأة، من أجل الهيمنة، على اعتبار أنها منتجًا للراحة والرخاء الذكوري، وهي هنا – أي المرأة – صورة للشعب الأعزل المكتوي بنارين، نار السلطة التي تنزاع من أجل البقاء قوية، معافاة، ونار المعارضة، التي تحفر جبهة وجودها من خلال مواقع المدنيين، وهنا إدانة ولو بشكل أخف وطأة من قبح وجرائم السلطة التي انتهكت المرأة، وجعلها رهينة شبقهم المُدنّس، غير أنها لم تغفر تحصّن الثائر في العمارة التي تسكنها هي، يفصحُ عن ذلك السارد: **((في مقلتيها وَمَضَ إيماءٌ ساخر قبل أن.. قبل أن توجّه إلى قلبي الطعنة: "أبواب البغايا دائمًا مفتوحة" لم أصدق ما سمعت. ولكنّها لم ترحمني: "تستطيعون أن تتباهوا أنّكم صنعتم من أخواتكم وأمّهاتكم بغايا!"))**، (الكوني: ٥١. وينظرُ كذلك: ٦٩)، فهي وقعت ضحية بين موقفين يفصل بينهما خطّ الصراع والبقاء، والإفناء، فالمرأة في هكذا ظروف، لا تتمظهر إلا بوصفها قيمةً رغبويةً، مخلوعةً عن ذاتها، وكينونتها، وتستحيلُ أيقونة للانكسار والضعف، للغواية والشهوة، هكذا ظهر صوتها وسط الدمار الرهيب، والألم الزاخر في قلوب الليبيين.

ومثلما استعان النظام السوري بـ"الشبيحة" أداةً للاعتداء على المتظاهرين، بنقمهم السلمي أو الصاخب، استعان نظام العقيد الليبي، بالمرتزقة الأفارقة، على أبناء شعبه، وهذا هو حال الطغاة المجانين، الذين لا يرون سوى أفقهم الضيق، فهؤلاء المدنسين هم **((من تلك الملّة التي جاءت من الأدغال برفقة تجّار القوافل العابرة للصحراء. إنهم آخر دفعة من صفقة الرّق التي تزامن وصولها إلى "ذات الرمال" بإعلان اتفاقي فيينا القاضية بتحريم تجارة العبيد في بدايات القرن التاسع عشر))**، (الكوني: ٧٠)، إذ تعود جذور هذه المجموعة إلى القبائل المتوحشة، المستوطنة في غابات نائية، محجوبة عن أفق الحياة الطبيعية، وترافق صفة "الوجبة الأخيرة من الرق" أسلافهم، فالنظام استفاد من أسلافهم، واهتم بتنشئة سلالة مُحدّثة منهم، خاضعة لجبروته، وهذيانه، مستعينًا بوحشيتها، وجوعها الجهنمي لفتك الحرمات، وعطشها السرمدي لإراقة الدماء – أيّ دماء – وتظهر شخصية المرتزق (بركة) خير مجسّد لهذه الوحشية **((نَزَا الوغد على المرأة على مرأى من طفليها، وعلى مرأى من مرؤوسيه كأنه لا يمارس غصباً، ولكنه ينتزع حقّاً. ينتزع حقًّا مشروعًا. ينتزع حقًّا أباحه ناموس الحرب قبل أن تُبيحه أوامر الأيقونة الانتقامية))**، (الكوني: ٦٧).

لقد تجلّت شخصية السارد بملامح المثقف، الذي ينهم الكتب منذ صغره، بل وصف نفسه في مستهل الرواية بـ(فأر كتب)، الذي تحوّل إلى (فأر جدران)، كناية عن دوره ومشاركته في عمليات "الحفر" التي قام بها الثوّار؛ من أجل الوصول إلى بناية السلطة التي يتموقع فيها الجيش ومرتزقته. هذا المثقف وفي بلد عربي مثل ليبيا من الطبيعي أن يعيش غربةً؛ لأسباب عدّة، تتأرجح بين القمع، وانعدام هواء الحريّة، واهتزاز القيم العليا والسلوكيات السامية، فضلاً عن نظرة المجتمع ببرجوازية المثقفين، وأنفتهم، ومن ثمّ أمكننا القول إنّ شخصية السارد ((تعيشُ في عالم لا تسيطر عليه، وتشعرُ بالعجز عن تغييره، لا تمارس حريتها، وبذلك تفقد وجودها))، (حنفي، ٢٠١٢: ١١)، فسوداويّة الواقع، وتخلّفه، وشقاء المثقف من هذا حالة الجمود المتلبسة للفرد والمجتمع، فضلًا عن حُلمية المثقف (السارد) قادته إلى التقوقع في عزلة ما، يقولُ السارد: **((كنت ألعن نفسي كلما انسلخت عن كتبي وخرجت إلى دنيا الناس. فلم يحدث أن خرجت من خلوتي مرة إلا وعدت إليها نادماً، هارباً، جريحاً!))**، (الكوني: ٩٨)، غير أنّ – وكما ذكرنا – تحوّله الفاعل لدعم الثورة، ومشاركته القتالية فيها، قد كسر أفق اغترابه، وأنهى حلميته، وحصاره واعتزاله عن مجتمعه ومحيطه، وهنا من الممكن وصفه بـ"المثقف العضوي"،

الذي أشار إليه المفكّر الإيطالي (أنطونيو غرامشي)، وتحدّث مليًّا عنه، فأشار لعلاقته الفاعلة والمشتركة مع الطبقة الثورية، والمبتعد عن حالة النرجسية التي ألصقت به، المختلي في برجه العالي، مبتعدًا عن قضايا ومشاكل مجتمعه (ينظرُ: المشلب، ٢٠١٧: ١٩)، وعلى الرغم من حالة انكسار السارد، وصدمته بانحراف مسار الثورة عقب انتهاء الديكتاتورية، إذ كان شاهدًا على أنّ تحقيق المصالح الخاصة هو مطلب أول لكثير من الثوّار والمشتركين بالقتال، ((**لقد رأيتُ بعد تحرير الأحلام أناسًا يتجاهلون القيمة ويتقاتلون قتالاً في سبيل الفوز بالغنيمة**))، (الكوني: ٢٢٧)، على الرغم من هذه الأفعال، ولكن السّارد أوجد نافذة للأمل، واسعة بحجم طيبة شعب ليبيا، إذ إصر السارد بعد انتهاء مهمته في جبهة التحرير، على الرجوع لجبهة أخرى هي جبهة التنوير، فأرًا للكتب، قاضمًا للمعرفة، وباديًا هوسًا غائرًا بالعلم والفكر، متماهيًا مع جيل جديد، يقوم بتدريسه، في محاولة جديّة لوقف نزيف الذاكرة الليبية، فالسارد ينأى عن مكاسب الثورة التي تسيل لعاب الكثيرين، والانخراط بالواقع السياسي الجديد؛ لأنّه ببساطة لا يجيد هذه اللعبة، فيختارُ العودة إلى وظيفته الدوغماطيقية، يريدُ تشكيل جيل حيوي بالعلم مزدهر بالمعرفة، والانتصار لقيمة الحقيقة لا غير، جيل جدير بقيادة ليبيا الزاهية (ينظرُ: الكوني: ٢٣٣ – ٢٣٤).

ثورة الشباب والرغبات المكبوتة

منذ رواية (موسم الهجرة للشمال)، للطيّب صالح، وتتوالى الأعمال الروائية العربية التي تتناول العلاقة بالآخر (الغرب)، خصوصًا من الناحية الجنسية؛ كوّن صورة الغرب تجسّدت بهيأة شبقية، محيط شقراوي إيروتيكي، ترسو عليه سفينة الكبت للإنسان العربي، المقيّد بجملة تابوهات وممنوعات، صيّرته مسخًا في عصر التطوّر والتقدم المدني والعلمي.

في رواياته (انتصاب أسود) يصبُّ الروائي أيمن الدبوسي، سرده الشبقي، المحتفي بالجسد، في إطار فنّي، ولغة موحية، تقتربُ من الطرح الفلسفي، لمشاكل الشباب ما بعد انتهاء دكتاتورية زين العابدين بن عليّ، والتغييرات التي حدثت للمجتمع التونسي عقب زواله. كان اللقاء مع الآخر في (انتصاب أسود)، من خلال مجيء وفد متنوّع الجنسيات، للتعرّف عن كثب على الثورة، والشباب الذين أطاحوا بالنظام الشمولي، محاولين فهم عقول هؤلاء الشباب، ونمط تفكريهم، ومسارهم المعرفي، والإيديولوجي. طرحت هذه الأسئلة عبر (كريستوف) الصحفي الفرنسي البغيض على (أيمن) الطبيب النفسي الشاب، وأصدقائه، يقول (أيمن) سارد الرواية: ((**كريستوف كان يتعامل معنا بتملّك وغيرة. كنتُ أقول لمواطنه ماكسيم، إننا نشّطنا مُصطلح الثورة، وأرجعناه للخدمة، وقد أضفينا عليه معنى جديداً**))، (الدبوسي، ٢٠١٦: ٢٩)، بدا (كريستوف) مثلًا للآخر الغربي، الذي يقوم بدور المستشرقين فيما مضى، فهو متلهف لجمع المعلومات، وفهم ما يجري، والتساؤل عن كلّ شيء يخطر في باله أمام (أيمن)، فهو قد عاش دور المستشرق، القادم من بلاد التطوّر والتحضّر، إلى أرض غريبة، موحشة، تنتظر شروق الشمس عليها، ((**ذكرنتي جلسته بلوحات المستشرقين، كان يجلس في خُيلاء، بين الفتاتين السمراوين، فاتحًا ذراعيه، مطلقًا ابتسامة عريضة، يُسراه تطبق على الجعّة، ويمناه تقبض على سيجارة**))، (الدبوسي: ٣٠)، مطلقًا لمخيلته في التحليق وتقمّص دور المستشرقين، الذين رسخت في مخيلتهم، ومخيلة نسائهم، صور الشرق كما نقلها لهم رحلات المستشرقين ولوحاتهم، وحكاياتهم، و"فوتوغرفياتهم"، وأبرز تلك الصور هي فحولة العربي، وشهوته التي لا تهدأ، ولا تنضب، فكان مشهد التحكيم الذي أُحيل إلى (هيلين) الفرنسية، للبتّ في أيّ عضو ذكوري أفضل، العضو العربي (المختون)، أم العضو الفرنسي (المحتفظ بقلفته)، ينقل (أيمن) ذلك بالقول: ((**أمسكت هيلين "عضو" كريستوف بيُمناها، و"عضوي" بيُسراها، وراحت تتأملهما محتارة، كنّا مثل مراهقين أحمقين، نرجسيين، ينتظران الإعلان عن نتيجة مسابقة، وكلاهما يُمنّي نفسه بهزيمة الآخر. اغتاظ كريستوف وإن حاول أن يكتم ذلك وهو يرى هيلين السكرانة تمسك عضوي وتقول إن "العضو" المختون مصقول، ومنحوت كالعمارة**))، (الدبوسي: ٢٤. وينظرُ:٣٦– ٣٧– ٣٨–٣٩–٤٣) ،

فالانتصار للعضو العربي من قبل الآخر (هيلين)، هو انتصار تعكسه الصورة المنبثقة من (ألف ليلة وليلة)، صورة الرجل الشرقي المحتشد بالاشتهاء، والبأس الإيروتيكي، ومن ثمّ أريد ظهور "نصر" عربي على الآخر، هذا "النصر" هو تعويض بشكلٍ ما عن تخلّف العرب، وتأخرهم بمجالات الحياة العلمية والمعرفية والثقافية، هو نصر معنوي من نوع ثان، بالتناكح مع ثقافة عليا مسيطرة، لم يستطع إخضاعها بميادين ثانية إلا في ميدان الجنس المحموم، وغريزة الانتصاب.

لم يقف النصر الجنسي الخاص بـ(أيمن) إلى هذا حدّ، بل تحوّل إلى رغبة بالانتقام، وإزاحة الحيف الملحق بوطنه من الاستعمار، بعد مضاجعته القاهرة لـ(هيلين) من جانب، وتحقيره واستهزائه بـ(كريستوف)، الذي رغب – بشذوذ – هو الآخر بفحولة (أيمن) الذي رفضه ورفسه صارخًا به: ((**"لا تُحاول"، صرخت، وأنا أرفس في هيلين التي سقطت في غيبوبة شبقية عميقة. "لقد انتهيتم يا كريستوف"، أضفت. "أو نحن انتهينا منكم. فرنسا انتهت أخلاقياً. لقد سقطتم سقطة لم تكن لكم بعدها قومة. العالم لا يجب أن ينسى أنّ وزيرة خارجيّتكم Aliott Marie، اقترحت أن ترسل شرطتكم المدربة، وعيّكم، وكلابكم، وقنابل غازكم، لتآزر الدكتاتور على قمع ثورتنا**))، (الدبوسي: ٤٠. والشيء ذاته من "الاستعلاء الفحولي العربي" تقريباً فعلته شخصية (أيمن) مع الطالبة الإيطاليّة، ينظرُ: ٤٧)، فانزاحت كلّ الإعاقات المأخوذة عن الفرد العربي، وبرزت موهبة الفتك الجنسي بالآخر الغربي، التي فيها إشارة إلى الخيوط الخفيّة التي تربط ديمومة الأنظمة الشمولية السابقة بالغرب، فغلبة ذكورية للطيف العربي، بموازاة ارتخاء أوربي، شبه مستديم في العالم الافتراضي للرواية.

لم يكن (أيمن) وحده في حرب الإذلال الجنسية للغرب، بل حاول إقحام رفقاءه؛ كون الوهج أو بقعة الضوء العالمية، ما تزال مُسلطة على الربيع التونسي، ومن المهم استغلال ذلك، يقولُ (أيمن) مخاطبًا (حمزة): ((**إنها فرصتك الذهبية اليوم لتفعل ما تشاء. نحن أسياد التاريخ، نصنع أخبار النشرات. أنظار العالم موجهة نحونا. لكني أشعر أن موسم الثورات هذا لن يدوم طويلاً، قد نفقد النجومية قريباً؛ المصريون والليبيون بدأوا يخطفونها منا**))، (الدبوسي: ٤٨. وينظرُ كذلك: ٥٠ – ٥١)، فمساحة الحرية التي توفّرت بشكل شاسع، بسبب انهيار النظام، وفّرت للتونسيين، فرصة للتنفس بشكل حرّ، وإعلاء أصواتهم بشكل حرّ، وتمشية أفعالهم بشكل حرّ، وهذا ما حاول (أيمن) ورفقاؤه القيام به، إنهاء معاناتهم النفسية، وإرواء عطشهم الجنسي، عبر جسد الغريم الأوربي، فحالة العداء نتلمسها بخطاب المشاهد هذه، وفعل الشخصيات، وهذا العداء متجذر بسبب حالة الغياب الفادحة مع الغربي، وتشكل صورته تخيليًا، بعيدًا عن الواقع، فقد بقي ((الحضور العدائي للآخر قرين علاقات الغياب التي تسهم في تشكيل علاقات حضور الماضي الذي تصافح العين صورته، بعد أن صاغتها مخيلة إيديولوجية، يحركها مبدأ الرغبة، ويدفعها مسٌّ عصابيٌّ))، (عصفور، ٢٠١٠: ٤٣).

إنّ فعل الشخصيات الروائية استغلالي بالمقام الأول، إذ يدركون أنّه زمنهم لممارسة العبث بشكل إرادي، ومطارحة التحرر، وكأنهم يدركون أنّ مسار البلاد، ستؤول عاجلاً أم آجلاً بيد الأحزاب الإسلامية وهيمنتها الأصولية، على اعتبار أنّ الدولة الثيوقراطية ((بطبيعتها دولة شمولية، دولة تغلي الفرد، تتكلم عن الجماعة وتحول هذه الجماعة إلى كم مهمل، تتكلم باسمه))، (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٣: ٢٩٨)، وفق هذا الطرح تنتهي لعبة الشبق، والعبث بجسد الآخر. لذا يستمر (أيمن) بتهيئة صديقه (حمزة) وتحفيزه لمضاجعة الفتاة الإيطالية: ((**هيّا يا فتى"، قلتُ له، "كدت تُفشِل الثورة بسلوكك المتردد هذا. انظر إليها، إنها مثل مدينة مفتوحة، لن تجد منها مقاومة تذكر. هذه روما زمن الانحطاط؛ ذئبة بلا أنياب، لن تعضك**))، (الدبوسي: ٤٨. وينظرُ كذلك: ٦٨)، هذا هو الآخر كائن مستأثر عليه، ومستضعف أمام ثورة واستبداد جنسي نهم يسكنُ الجسد العربي، استبداد يُراد سكبه بتعالي، وأنفة على الأجساد الأوربية البضة، وهو – كما نرى – فعل "استغراب" يمارسُ بوصفه ردّة فعل على "الإستشراق".

إنّ السؤال الذي يفرض وجوده على (أيمن) ويقتحمُ وعيه وهاجسه، هل فكرة الثورة تنحصر بالحرية الجنسية وفسحة العبث ؟ نعم الحريّة تكاد يصبح أهم مطلب قامت لأجله ثورات الربيع العربي، في تونس وباقي الأوطان العربية. تبدو الإجابة عند (أيمن)، مكسورة الأفق والرجاء، لا تنفتح على بارقة أمل، إذ يريد بقاء فضاء الحرية وكسر السلطة مشاعين، بلا نظام يُقيّد، أو إجراءات حكومية تحرم شباب الثورة من ساعات التحرر، يقولُ: ((**كنتُ أشعر بالحزن والامتعاض كلما رأيت لافتة حزب معلّقة على شرفات إحدى العمارات. الكثير من العمارات الجميلة والقديمة شُوّهت واجهاتها بلافتات الأحزاب**))، (الدبوسي: ٥١ – ٥٢)، إذ تدرك الشخصيّة الرئيسة في الرواية (أيمن)، مدى التضييق الذي سيلفُ المجتمع التونسي بعد أن شمَّ هواءَ الحريّة المنعش.

إذ يبدو جليًّا تلاشي لحظة الثورة السلمية العارمة التي هزّت دكتاتورية بن عليّ، فلا شيء تغيّر سوى تبديل الحزب الواحد بأحزاب متعددة، كلّ حزب يسعى لكسب أكبر كم من الأصوات المؤيدة له ولقيمه وإيديولوجيته، ومن ثمّ الاستحواذ على كعكةِ السلطة بشكلٍ كبير، فالاستعارة مثيرة بين تغطية اللافتات الحزبية الكثيرة، التي حجبت واجهات المباني المعمارية، وبين سحب بساط الحرية من شباب الربيع في تونس، وحجب دورهم، وقيمهم التي يريدون لها وجود ملموس، بعد سنوات الهيمنة المقيتة لنظام بن عليّ، فـ(أيمن) يريد بقاء الناس بلا هيمنة حزبية وأدلجة على عقولهم، يرغب بوعي حدّ الفضاء، للتظاهر والاحتفال؛ لإحياء الشوارع، بعيدًا عن عيون الأمن والرقابة البوليسية: ((**سنحتفل لأن الاحتفال شيء رائع. لأننا أحياء. لأننا ما نزال هنا. وسعيدون لأننا هنا. "يا أيّها المدّثرون، والنائمون، والسّاهرون خلف شاشاتكم، الحياة تبدأ الآن"**))، (الدبوسي: ٥٢ – ٥٣)، فشخصية (أيمن) تنتسب لقيمة الحرية، وتتماهى مع ، وتسعى لسعادة مطلقة، لبهجة مشاعة، لكلّ أفراد المجتمع.

إنّ خطاب رواية (انتصاب أسود)، ركّز على الآخر، مرّة تلاقيًا مع الوفد المتعدد الجنسيات الذي زار تونس، بُعيد سقوط نظام بن عليّ، ومرّة من خلال الهجرة لبلاد الآخر، وذلك عبر مراسلات (أيمن) وصديقته (علياء)، التي هاجرت لأمريكا، محقّقة حلمًا، بالرخاء والاستقرار في بلاد العمّ سام.

إن لجوء الروائي في فصل رواياته قبل الأخير إلى توظيفِ تقنية الرسائل، وسيلة لتناوب السرد، بين (علياء) و(أيمن)، يعدّ خطوة ذكية، لعرض وجهة نظر كلّ من الشخصيتين حول موضوعة الآخر، لاسيما حلم الهجرة إلى أمريكا، وموضوع الربيع العربي وأحلام الشباب الذين قاموا بثورتهم الخضراء ((**في تلك الليلة اكتشفنا عشقنا المُتبادل، لكن إن كان عشق بيننا فهو بالتأكيد عشقنا لأمريكا، وتحديدًا مدينة لوس أنجلس الذهبيّة، مدينة الشمس البازغة**))، (الدبوسي: ٩٩).

حملت رسائل (علياء)، وهي التونسية الميسورة ماديًا والمثقفة، والطموحة، حملت لغة الصدمة، والكآبة، ومفردات الخيبة، بعد أيام قليلة من وصولها لأمريكا وتحقيق حلمها الكبير بالوصول لأمريكا، غير أنها أحيطت بدوائر عدّة، الاجتماعية، اللغوية، السكن، والاستقرار بعمل، تقول (علياء) في رسالتها: ((**أعتقد أن البؤس هو الشيء الوحيد الذي يُمكن التشكيك فيه في أمريكا. الناس هنا مستعدون للكذب والتمثيل في خصوص أي شيء عدا البؤس. إذا لقيت البؤس في أمريكا فاعلم بأنّه حقيقي**))، (الدبوسي: ٩٢. وينظرُ كذلك: ١١١)، فبهتت أنوار الشوارع الأمريكية، ولم تلتقط عيناها زرقة سماء لوس أنجلس، على غير ما رسمته عن أمريكا في مخيلتها، أيام معيشتها في بلدها الأم.

كان حلم الوصول لأمريكا، مترسخ لدى (علياء) و(أيمن)، بشكل يقيني، محسوم، مع فارق أنّ (علياء) كانت تخطط بهدوء وعقلانية للهجرة، عكس (أيمن)، الذي تقوده انفعالاته الفوّارة، دون حضور للعقل والوعي، في وضع خطاطة واقعية لتنفيذ فكرة الهجرة، لكن كلاهما يدركان صورة البلد، والمآل الذي تسيرُ إليه، وأنّ الثورة الخضراء تُسرق من أيدي الشباب، وتتحوّل لخيبات بحجم الأحلام، المتمنّاة في ذهنية، ونفس كلّ ثائر تونسي، يصف (أيمن) ذلك في إحدى محاوراته مع

(علياء): ((**قالت لي إن أعظم ما قدّمته الثورة للتونسيين، هي أنها أتاحت أمام ثلاثين ألف مهمّش لاجتياز الحدود خلسة، والعبور نحو أوربا في الأسابيع الأولى التي تلت سقوط النظام**))، (الدبوسي: ١٠٠)، بل امتد اليأس بـ(أيمن)، حتى لفكرة الهجرة لأمريكا، فلم تعد بالنسبة إليه أكثر من وهم، وحلم لا يتحقق، إنّها صورة المستقبل الواجم الذي يخبو أمام ناظر (أيمن)، أحد المشتركين بالربيع العربي في تونس، يخاطبُ (أيمن) علياء) برسالة: ((**لا شيء بات يُثير حماستي هذه الأيام، أو يشد انتباهي، ولا حتى أمريكا نفسها. هذا مؤسف حقاً. لطالما كانت شيئًا قريبًا وممكنًا. أما الآن، فأعتقد بأنني نسيتُ حتى شكلها على الخارطة. سأنتظر بفارغ الصبر أن ينقضي الشتاء**))، (الدبوسي: ١١٢)، وما هذا الشتاء سوى كناية عن جفاف نسغ الربيع العربي، وهجوم العتمة، وسيطرة موجة العنف، والتخريب مرة أخرى، على بلد رغب شبابه بعادلة اجتماعية، وحريّة تتجوّل دون مطاردة، وحساب.

وهكذا ينتهي انتصاب (أيمن) بالارتخاء، مُتخليًا عن حلم الهجرة صوب أمريكا، وفتور أمله بتحقيق الأهداف التي طالب بها هو وشبّان الربيع العربي، لسيطرة الحركات الراديكالية على الشارع، وكأن ارتباطًا خافيًا بين أمريكا وتلك الحركات، يشيرُ إليها (أيمن) بالقول: ((**أمريكا! أينما حلّت جيوشكِ وحلّ عُملاؤك حلّ الخراب. أمريكا! تيسّرين وصول الإسلاميين للسلطة في دول الرّبيع الأسود**))، (الدبوسي: ١٢٨)، فيما يبدو طريق صديقته (علياء) أكثر وضوحًا، وتظهر في نهايته ثمة أمل، وتحقيق مبتغاها في معيشة أمريكية طازجة، فهي تريد تأكيد ذاتها في مكان غريب، فاعلة وسط مجتمع يفسح المجال، بعد أن أمست مهمّشة، ومهشّمة، على أرضها الأم، إنّ تأكيد ذات (علياء) وحضور صوتها الأنثوي، نتلمسهُ من خلال تقنية الرسائل، التي أعطى بموجبها الروائي، الحقّ لشخصية (علياء) بإظهار كينونتها، وحضور ذاتها الفاعلة.

الخاتمة

وفق ما مرّ من فقراتِ الدراسة، فقد تعاطتِ الرواية العربية، مع موضوعة الربيع من زوايا ووجهات نظر، اختلفت، وتباينت في معطاها الموضوعي والتقني، إذ تراوحت رؤى الكتّاب، بين المنظور البرّاني لانتفاضات الربيع العربي؛ سعيًا لحياديّة موضوعيّة، وعدم فرض وجهة نظر الروائي على الشخوص، ومسار الأحداث، مثلما أنعمنا النظر عرضًا ومقاربة نقدية لرواية (رمش إيل)، وبين منظور جوّاني، مشتركٌ، ومساهم فاعل في سياق الرواية، بل متبنّي لاتجاه موضوعي خاص، عرض له على امتداد صفحات الرواية، كما حصل مع شخصية السارد المقاتل في رواية (فرسان الأحلام القتيلة)، فيما سعى آخرون، إلى ثيمة الزمن وتواجشها مع انتفاضات الربيع العربي، وذلك عبر سرد تمهيدي لما جرى قبيل اشتعال الشرارة الأولى، وما كان يحصل من ظلم، واضطهاد، مارسته السلطات الشمولية، وتضييق ممنهج على الإنسان العربي في وطنه، فيما شقّ مسار آخر للرواية، نحو عرض ما تلا وأعقب أحداث الربيع العربي، من اقتتال وتفرقة بسبب الوجهة الدينية، والمذهبية، والتبني الإيديولوجي لمختلف الأطراف في المجتمع، بعد أن توحدوا أمام غول السلطة (= الدكتاتور)، غير بمجرّد غيابه، ظهر تصدع كبير وشرخ عميق، في منظومة المجتمعات العربية، إذ يسير كلّ طرف، نحو مرجعيته الضيقة الأثنية أو الفئوية، مخلّفين مرجعيتهم الكبرى (= الهوية الوطنية) خلف ظهورهم وكأنه حالة للنسيان، وهذا ما قد لمسناه في النماذج الروائية المنتخبة للدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع (الروايات)

- الدبوسي أيمن. (٢٠١٦). انتصابٌ أسود، ط١، بغداد – بيروت، منشورات الجمل.
- الشهيد، زيد. (٢٠١٣). اسم العربة: أو الرجل الذي تحاور مع النار، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- فيّاض، فخر الدين. (٢٠١٤)، رمش إيل، ط١، رأس الخيمة، دار نون.
- الكوني، إبراهيم (يونيو ٢٠١٢)، فرسان الأحلام القتيلة، ط١، الإمارات، كتاب دبي الثقافية الإصدار"٦٣".

ثانيًا: المصادر

- إبراهيم، عبد الله. (٢٠١١). التخيّل التاريخي: السّرد، والإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أدونيس. (٢٠١٥). غبار المدن بؤس التاريخ، ط١، بيروت، دار الساقي.
- دبّاشي، حميد. (٢٠١٦). هل يستطيع غير الأوربي التفكير؟، ترجمة: عماد الأحمد، ط١، إيطاليا، منشورات المتوسّط.
- الزين، حسن محمّد. (٢٠١٣). الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، ط١، بيروت، دار القلم الجديد.
- سبيلا، محمّد. (٢٠٠٩)، مدارات الحداثة، ط١، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- صالح، هاشم. (٢٠١٣). الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ، ط٢، بيروت، دار الساقي.
- العجمي، مرسل فالح. (٢٠١٤). الواقع والتخييل: أبحاث في السّرد تنظيرًا وتطبيقًا، ط١، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة نوافذ المعرفة "٤١٨".
- عصفور، جابر. (٢٠١٠). الهوية الثقافية والنقد الأدبي (د ط)، القاهرة، دار الشروق.
- الفايز، فارس نايف. (٢٠١٧). تمثّلات الموت في الرواية العراقيّة ٢٠٠٣ – ٢٠١٣، ط١، بيروت، دار الرافدين.
- مارتز، جيسي. (٢٠١٦). تطوّر الرّواية الحديثة، ترجمة وتقديم: لطفية الدليمي، ط١، بغداد، دار المدى.
- مجموعة مؤلفين، (د ت) الأدب والواقع، ترجمة: عبد الجليل الأزدي ومحمّد معتصم، ط٢، الجزائر، منشورات الاختلاف.
- المسكيني، فتحي. (٢٠١٣). الكوجيطو المجروح: أسئلة الهُويّة في الفلسفة المعاصرة، ط١، بيروت، منشورات ضفاف.
- المشلب، محمّد فاضل. (٢٠١٧). الإنتلجينسيا العراقيّة في عالم علي بدر الروائي: دراسةٌ في الرؤى والتمثّلات، ط١، بيروت، دار الرافدين.

ثالثًا: الدوريات والمجلات

- أفاية، محمّد نور الدين. (٢٠١٣). حول أداء المثقفين في معمعةِ الأحداث: ملاحظات وتساؤلات، ضمن حلقة نقاشية "المثقفون العرب والربيع العربي": تحليل أداء، مجلّة المستقبل العربي، العدد ٤١٥.
- حنفي، حسن. (صيف ٢٠١٢). الهُويّة والاغتراب في الوعي العربي، مجلّة تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، العدد ١، المجلّد الأوّل.
- خلاصي، خليدة كعسيس. (آذار ٢٠١٤). "الربيع العربي" بين الثورة والفوضى، مجلّة المستقبل العربي، العدد ٤٢١، السنة ٣٦.
- مجموعة مؤلفين. (أبريل – يونيو ٢٠١٣). ندوة الدولة المدنية والدولة الدينية، مجلّة عالم الفكر، المجلّد ٤١، العدد ٤.